مجلة الرائد

العدد : ١٩٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/٣ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٤-	بقلم : د. موفق الحكيم

هجروه أخلاقاً وسلوكاً :

عندما سُئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت : « لقد كان خلقه القرآن » .

نعم ، لقد كان رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، يقرؤون القرآن ، ويعملون بما أنزل فيه ، يُحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويتهذبون بأخلاقه ، يرغبون فيما يرغبهم ، ويرهبون مما يرهبهم ، وهذا هو التفسير العملي والتطبيقي لقوله عز وجل { **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** }[البقرة:١٢١].

كان السلف الصالح يقرؤون القرآن ، حافظين لآياته ، عاملين بما فيها ، مطبقين لأحكامها ، متبعين لأوامرها ، مجتنبين لنواهيها ، وكانوا كما قال الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ : « كان يَجل في أعيننا من يحفظ الزهراوين » أي سورتي البقرة وآل عمران . وقد أقام الصحابي الجليل عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ثمان سنوات في تعلم سورة البقرة ، لما فيها من أحكام وقضايا ، ولعظم فقهها .

نعم ، لم يكونوا ينتقلون من حفظ سورة إلى أخرى حتى يتدبروا ما فيها ، ويعملوا بآياتها ، ويتدارسوا أحكامها ، وهكذا قرؤوا القرآن وتعلموا ما فيه وعملوا بما فيه ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « كانت تتنزل علينا الآية في عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها قبل أن نحفظها ».

ويعجبني هنا وصف الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله يصف معنى " خلقه القرآن " في وصف الرسول ﷺ بقول : " الطهر ملء ثيابه ، والجد حشو إهابه ، يأبى لسانه أن يخوض فيما لا يعلمه ، وتأبى عيناه أن تخفيا خلاف ما يعلنه ، ويأبى سمعه أن يُصغي إلى غلو المادحين له ، تواضعٌ هو حلية العظماء ، وصراحة نادرة في الزعماء ، وتثبت قلما تجده عند العلماء " [النبأ العظيم ص٣٢].

وانظر إلى هذا الوصف الرائع للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف حملة القرآن يقول : " ألا ، إن لله عباداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة في الجنة فاكهين ، وأهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما بالليل فصفوا أقدامهم في صلاتهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٤-	بقلم : د. موفق الحكيم

ربهم ، ربنا ، ربنا ! يطلبون فكاك قلوبهم ، وأما بالنهار فعلماء حلماء ، بررة ، أتقياء ، كأنهم القداح - السهام ، يريد في ضمرتها - حيث ينظر الناظر إليهم فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول : خولطوا ، ولقد خالط القوم أمر عظيم " [العقد الفريد ، ج٣/ص١١٢].

ويقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ : " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ".

نعم ، هؤلاء هم حملة القرآن : أتقياء ، أنقياء ، صوام ، قوام ، آمرون بالمعروف ، ناهون عن المنكر ، ليس لهم لدى السلطان حاجة ، قلوبهم متصلة بالله ، جوارحهم خاشعة له ، وألسنتهم لا تفتر عن ذكره ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، لا يرهبون جباراً ، ولا يخافون طاغية ، مجاهدين في الله حق جهاده ؛ بأنفسهم وأموالهم ، لا يخافون في الله لومة لائم . يقول التابعي الجليل الفضيل بن عياض : " ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم " ، وقال أيضاً : " حامل القرآن ، حامل راية الإسلام ، ينبغي أن لا يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيماً لحق القرآن " . ويقول التابعي الجليل مالك بن دينار : " ماذا زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ، إن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض ".

نعم ، إن القرآن يحيي القلوب الميتة ، ويزكي النفوس الخامدة ، ويلهب المشاعر المتبلدة ، إنه كالغيث ما إن يلامس الأرض العطشى ، حتى تنبت زرعاً ، وتزهر زهراً ، وتتحول من صحراء موحشة قاحلة إلى واحة وارفة الظلال والأفياء .

ويقول الإمام النووي رحمه الله في كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » : " ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال ، وأكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن ، وأن يكون مصوناً عن دنيء الاكتساب ، شريف النفس ، مرتفعاً على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا ، متواضعاً للصالحين ، وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار ، فقد جاء عن عمر الفاروق ﷺ : يا معشر القراء : ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على الناس " .

مجلة الرائد

العدد : ١٩٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/٣ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٤-	بقلم : د. موفق الحكيم

وحملة القرآن هم رهبان بالليل ، فرسان بالنهار ، إذا دعاهم المنادي لبوا النداء ، واستبشروا عند اللقاء ، بلقاء أعظم منه ، وإن هي إلا إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر ، يقول الإمام حسن البنا رحمه الله : " جاء في أوصاف أصحاب محمد ﷺ وهم صفوة الله من خلقه والسلف الصالح من عباده « رهبان بالليل فرسان بالنهار » ترى أحدهم في ليله ماثلاً في محرابه ، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غُري غيري ، فإذا انفلق الصباح ودوى النفير يدعو المجاهدين رأيته رئبالاً على صهوة جواده ، يزأر الزأرة فتدوي لها جنبات الميدان " [الرسائل] .

هذه هي صفات حملة القرآن وقرائه ، وهؤلاء هم الذين أكرمهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم رزقاً حسناً وأجراً عظيماً ومنزلاً مباركاً . جاء في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » [رواه أبو داود وقال حديث حسن] ، وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول : « أيهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد » [رواه البخاري] . وقال الحسن البصري ﷺ في هؤلاء القراء : " ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن ، فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليله ، وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع وارتدوا بالحزن ، وركعوا في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم ؛ فبهم يسقي الله الغيث ، وينزل النصر ، ويرفع البلاء " .

وهناك وللأسف في كل عصر وزمان ، وفي كل مصر ومكان طائفة من الناس ممن يسمون أنفسهم القراء أو حفظة القرآن ، لم يبتغوا بعلمه وجه الله ، ولم يعملوا بما علمهم إياه ، أرادوا إرضاء السلطان واستغنوا عن ثواب الرحمن ، ماروا به السفهاء ، وفاخروا به العلماء ، وباهوا به أقرانهم من القراء ، اتخذوا القرآن وسيلة وسلماً ليحققوا غرضاً من أغراض الدنيا الزائلة ، فاستحقوا الخزي والعذاب من الله والمذلة ، وأولئك من أعد الله لهم أقسى العذاب وأعظم العقاب .

يقول الإمام علي ﷺ : " يا حملة القرآن اعملوا به ، فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف عملهم علمهم ، يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً ، حتى إن الرجل ليغضب من جليسه أن يجلس إلى

غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى " .

وقال الإمام النووي في « التبيان في آداب حملة القرآن » : " ينبغي للقارئ أن لا يقصد به توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة ، أو ارتفاع على أقرانه ، أو ثناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس إليه ، أو نحو ذلك ، ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه ، سواء كان الرفق مالاً أو خدمة وإن قل ، ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه " . وقال الحسن : " أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً " . وقال أيضاً : " حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده ، واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله عز وجل ، ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليله وهملت عيناه تسربل الخشوع وارتدى الوقار واستشعر الحزن... " . وهناك فئة من " القراء " قد شغلوا أنفسهم بالقراءات الشاذة فشغلتهم عن الفرائض المكتوبة ، وتركوا المتواتر المشهور ، وأخذوا بالمنسي والمهجور ، يتفنن أحدهم في إبراز الألفاظ ، والتصرف بالنغمات ، وكأنه أحد الفنانين أو المطربين ؛ همه جلب انتباه الجمهور ، وجلب الثناء والإطراء والمديح ، هؤلاء لا يزيد إيمانهم بتلاوة القرآن ، وهؤلاء أبعد الناس عن فهم القرآن . يقول الإمام العظيم ابن الجوزي رحمه الله في (تلبيس إبليس) : " فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها ، فيفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والإقراء بها ، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ، ليأخذ عنهم العلم ، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ، ثم الإقبال على ما يصح النفس ويطهر أخلاقها ، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع " . ويتابع رحمه الله : " ومن ذلك أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور ، والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ ، وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه ، وعنده أنه متشاغل بالقرآن " . ويتابع رحمه الله : " ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء ، وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن

يرفع عنهم العذاب ، وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم ، إذ زيادة العلم تقوي الحجة ".

ويقول الشيخ علي الطنطاوي حفظه الله في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه « في سبيل الإصلاح » : " وكان معنى كلمة القراء حين نقرؤها في حروب الردة وذكر من استشهد منهم في معركة اليمامة ، كان معناها : الذي يقرأ القرآن متدبراً واعياً ، عاملاً بما قرأ ، معلماً إياه من لا يعلم . فصار معناها : البصير بالألحان والمقامات ، الخبير بالمحطات ، والمتصرف بالنغمات ، وصار السامعون يتصايحون من الطرب كأنهم يسمعون مغنياً في ملهى ، لا يزيد إيمانهم بتلاوة القرآن كما أخبر الله تعالى عن أهل الإيمان " .

وقد أعد الله أشد العقاب وعظيم العذاب لأمثال هؤلاء القراء ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » [رواه أبو داود بإسناد صحيح ، عرف الجنة : رائحة الجنة] . وجاء في جزء من حديث لمسلم في صحيحه : « ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به ، فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها . قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ». وجاء عن أنس وحذيفة وكعب بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو يكاثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس ، فليتبوأ مقعده من النار » [رواه الترمذي من رواية كعب بن مالك].

ما أحوجنا إلى رجعة صادقة إلى القرآن العظيم ، إلى هذا المنهل والمعين العظيم ، نرشف من ينبوعه الصافي ما يفيدنا ويصلح أمورنا في دار معاشنا ومعادنا ، وما أحوجنا إلى آدابه وأخلاقه : أخلاق الصالحين العابدين المجاهدين العالمين ، وما أحوجنا إلى تعاليمه التي رفعنا الله بها عندما التزمنا بها فوق كل الأمم ، وكنا في طليعة الركب نقود الدنيا لما فيه سعادتها وسلامتها ، ونزلنا بعد أن أنزلناه من نفوسنا إلى الحضيض والدرك الأسفل ، وهجرتنا عندما هجرناه العزة والسيادة والرفعة . وما أحوجنا إلى قراءة وتدبر وفهم هذه الكلمات النبيلة الرائعة لأحد رواد الدعوة الإسلامية في العصر الحديث الشيخ

مجلة الرائد

العدد : ١٩٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/٣ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٤-	بقلم : د. موفق الحكيم

مصطفى السباعي رحمه الله من كتابه « هكذا علمتني الحياة ، ج١ ص١٩٠-١٩٣ » يقول :

" أدب القرآن هو أدب الحياة المناضلة بشرف ، البناءة بسمو ، المكافحة بتفاؤل ، المدافعة ببأس ، المهاجمة بحق ، المتعاملة بحب ، المتعاونة بوفاء ، المرحة بوقار ، المتنعمة باعتدال ، العزيزة بتواضع ، القوية برحمة ، العاملة بقناعة ، المترئسة بشورى ، المرؤوسة بيقظة ، الحاكمة بحزم ، المسالمة بحذر ، المتحضرة بخلق ، المتعبدة بعلم ، الماشية على الأرض ونظرها في السماء ، السائرة في الدنيا نحو العلاء ، وفي الآخرة نحو البقاء ، فأي أدب في آداب الأمم يهدف هذه الأهداف ؟ وأي جيل في العالم أكرم من جيل يتخلق بهذا الأدب "